

فلسطين :

## ثلاثة رجال

للأستاذ محمود محمد شاكر

أحب أن أقدم بين يدي كلامي هذا كلمة أو كلمتين لا يد منها :  
الأولى ، أن أبتهل إلى الله أن يبرئ قلوبنا من الجبن والخور  
والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ،  
فقد كتب علينا الجهاد في سبيله بما استطعنا . وأحب لكل كاتب  
وقارىء أن يتوب إلى الله بما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ،  
ليتجرد إلى الجهاد وهو ظاهر مصمم لا تلتفته الدنيا عن الدفاع عن الحق  
والثانية : أني كنت كتبت عن قضايا العرب وعن فلسطين ،  
فكنت لا أزال أذكر الإسلام وأشغفه بذكر نصارى الشرق ، لأنى  
أعدم منا ومن أنفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . ركنت أرى أن  
نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهد في قضايا العرب ما صرح  
عن مكنون أنفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء  
لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الإسلامى ، وكنت أخوف أن  
يقف قبض مصر مترددين عن المشاركة الصريحة في جهاد العرب  
والمسلمين في مسألة فلسطين ، واكنى أشهد الله اليوم أن قبض مصر  
قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً  
على مودتهم حرصاً أن يعمل فيه بمد اليوم دس ولا كيد ولا وقية .  
إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بمد اليوم أن يرتاب أو يتشكك  
في نبيل هؤلاء الأخوان الذين نصررونا في ساعة المسرة لا تدفعهم  
إلى هذه النصررة رغبة ولا رهبة .

وسأسجل في هذه الكلمة مآثر رجلين من أجل النصارى  
شأننا ، لأنهما وقتاً في الجهاد موقفاً يوجب علينا أن نخلد ذكرهما  
في تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين  
إلا بأن نرفع ذكرهما في هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعاً  
السبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التي انبثت  
في أوربة وأمريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الذى .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريق الأقباط  
الأرثوذكس الأنبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب في  
المسجد الجامع الأزهر في يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فإذا

الناس يفاجأون بمقدم القمص مثناس الأنطونى سكرتير غبطته  
مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الأقباط في مصر ،  
القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ،  
والقمص عبد المسيح سمعد ، والقمص مرقس غالى . ودخول  
هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع في ساعة الجمعة ،  
ونياتهم عن غبطة البطريق الأعظم في شهود هذا اليوم الشهود ،  
وخطبتهم الناس في هذا المسجد ، ومشاركتهم في أكبر مؤتمر  
إسلامى في مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الأنبا يوساب  
البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من  
الزمانة والصدق والأمانة في دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة  
في عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويمتزبها ويكرم  
أصحابها في عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير  
متردد ، فدل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام  
الإدراك كل ما يحيط بهذا الفخور الصهيونى من الخبايا ، وعلى  
أنه أبى أن يدخل بين أقباط مصر ومسلميها مفهد بينى الوقية .

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الأعظم موقفاً رد كيد  
البريطانيين في محورهم ، وذلك في حادثة الرقازيق التي دبرتها بريطانيا  
لإفساد ما بين المسلمين والأقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ،  
لكان هذا الحادث البئيس سبباً في اشتعال نار الفتنة التي أشعلت  
بريطانيا مثلها من قبل لتفوق كلمة الأمة تفرقاً يجعل بعضنا  
ليهض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل في إخواننا القبط رجلاً  
كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يفظاً على أمته وأمتنا ، يد  
عنها كل مكيدة . وما دام في الأقباط هذا الرجل . وأمثاله ،  
فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بمد اليوم أن يبذلوا مهجهم  
في الدود عن إخوانهم ، وفي حمايتهم ، وفي الدفع عن كل شئ  
يسوءهم ، ما بقى على ظهر هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته  
ورسله واليوم الآخر . إنه دين في أعناقنا للقبط ، نسال الله أن  
يهبنا القدرة على أدائه وإن أبواهم أن يقبلوا عن هذه المآثرة جزاء .  
وأما الرجل الآخر فهو كما صاحبه يتلألاً قلبه بنور الإخلاص  
والإيمان ، تكلم فلان عن نفس حرة أفزعت « اليهود المسئولين  
في مدينة الإسكندرية » أى يهود مصر ، فأقبلت طائفة منهم  
تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فأجابهم بأنه  
ما قال ما قال إلا وهو يمتقد أنه قول صريح سليم ، وليس إقصاماً  
للدن في السياسة ، وأنه بقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ،

فيها مسلماً ولا نصرانياً في الأرض الإسلامية والمريية وقد كان  
بعض الناس يسيب علينا هذا الرأي ، ولكن حديث البطريق  
الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً  
جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربي الإسلامي  
من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبي من نصارى ويهود .  
ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت  
قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لاعقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى  
الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون  
جاهلون متمصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود  
عدواة للمسلمين غير ناظرين إلا بالعين الصليبية اليهيفة ، لا بعين  
الإنصاف والحق كما ينظر نصارى الشرق . وحسبنا هذا البيان من  
البطريق الأعظم ، فإنه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة  
وقبل أن أنتهي إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارىء ،  
وأنبه قومي العرب في كل مكان ، وفي مصر خاصة ، إلى أنه ما كاد  
« يهود مصر » يملون نبأ إذاعة هذا الحديث في الصحف حتى  
تبادروا إلى غيظته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته . فما معنى  
هذا الذي يفعله اليهود الذين خلفنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟  
وماذا تقول حكومتنا في هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا  
أعداء للصهيونية في قلب بلادنا في هذه الساعة ؟ أو يحدث هذا  
في مصر في الأسبوع الماضي ، وإذا بنا يقرأ اليوم ( ٨ ديسمبر  
سنة ١٩٤٧ ) أن الشرطة المراقية ألقت القبض عند الحدود  
المراقية السورية على ثلاثة يهود عمراقيين من موظفي شركة الزيت  
المراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكي . فما معنى هذا ؟ ليعلم  
اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطاير الخامس عمل في بلادهم  
وتنتهي من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذي ينبغي  
أن يعرفه العرب والمسلمون ، فقد أفضى سيادة حليم ناحوم افندي  
الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية في مصر بالتصريح الآتي :  
« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً  
لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات  
الصحف في أى مناقشات مهما كان نوعها أو الفرض منها .  
ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن  
واجبى يحتم على أن أتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية  
الكرعمة بكلمة أرجو أن تكون حداً لاصلاً لهذا الموضوع : فأبناء  
الطائفة الاسرائيلية التى أنشرف براسمهم الدينية هم جزء لا يتجزأ

وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل  
النيل فبطة البابا كريستوفوروس الثانى بطريرك الإسكندرية  
وإفريقية للروم الأرثوذكس .

وقد جله في هذا الحديث أن فبطة البطريق الأعظم للروم قد  
دهش لإنشاء دولتين في فلسطين ، ودهش أيضاً من أن تكون  
أمريكا والاتحاد السوفيتي هما الداعيتان إلى هذا التقسيم . ثم قال :  
« وإنه ليزداد دهشتنا أن تمتد الولايات المتحدة الأمريكية  
إلى هذه المحارة الجريئة رغم أحداث التاريخ الدالة على فساد هذه  
الفكرة وخطرها . ولهم العبرة فيما حاوله الإمبراطور جوليان الرومانى .  
ولا ندرى كيف فكرت في وضع الأراضي المسيحية المقدسة في  
حماية أولئك الذين رغبوا دائماً ، جماعات وأفراداً ، في أن يعيشوا  
حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع  
إنسان أن يتصور اليهود حرضاً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم  
الذين سيعمدون إلى تدنيها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى أيضاً أنه لا يمكن أن يسمح للفاثيكان أن  
تكون له السيادة في فلسطين ، فإن الحروب الصليبية قد برهنت  
على فساد هذه الفكرة . ولهذا فإننا نحن الروم الأرثوذكس نرى  
أنه في حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضي المقدسة ، أو عدم  
وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، أن تعطى للمسلمين حماية  
هذه الأراضي ، لأنهم منذ مارسوا حكمها في هذه القرون الطويلة ،  
قد برهنوا على أنهم جديرون بفتحنا » .

وهذا كلام أقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم  
بصير لا يدغمه إلى ما يقول هو سوى لشيء ولا رهبة لمكروه . فإن  
غبطة البابا كريستوفوروس قد قضى طفولته وشبابه في فلسطين ،  
وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ،  
كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد أثبت حديث البطريق الأعظم بتمامه لأنه سوف يصبح  
هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الإسلام ، ولأننا نحن المسلمين  
نحب أن نحمل المن في أعناقنا فنحافظ عليها وزرعها وندافع عنها  
ونجزئها أحسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير  
قطعة من تاريخنا برويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق  
الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من  
أن مشابهة الدول الأوروبية والأمريكية للصهيونية الفاجرة ،  
قائمة على الصليبية الحناء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لا يستثنون

يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا  
كيهود سائر العالم؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن تنبهه إلى أن الصهيونية قد أذاعت  
منذ القديم أنها تريد أن تستولى على أرض إسرائيل كلها من  
الفرات إلى النيل، وأن هذا مطبوع منشور في كتبهم، وأنه  
حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيوني يستنكر التقسيم ثم  
رضى به على مضض، لأنه الخطوة الأولى التي تقضى إلى استيلائهم  
على أرض بني إسرائيل كلها عن الفرات إلى النيل. وأنا لا أظن  
أن مثل هذا مما ينبى عن الرجل الفاضل العالم أحد أعضاء المجمع  
العلمي العربي.

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا في محكم تنزيله  
إذ يقول: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تمتدوا  
إلى الله لا يحب المعتدين»، فالسالمون والعرب جميعاً سوف  
يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين، أما سائر اليهود فلن يعتدي  
عليهم مسلم ولا عربي ما داموا في ذمتنا ولا يؤلبون علينا. فهل  
يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية تريد أن  
تقحم الدين فيها، بل هي مصير العرب والمسلمين في مشارق الأرض  
ومغربها؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل  
شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر في  
مسألة التقسيم؟ وهل يأذن لنا سيادته أن يطالبه ونطالب أبناء  
ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلاً صريحاً واضحاً يدل على أن  
عواطفهم هي عواطف الأمة المصرية تشمر بشعورها وتتألم بألمها؟  
وهل يأذن لنا سيادته أن تقول له إن هذا الذي يجري الآن ليس  
«ظرفاً عصيباً» كما جاء في كلامه، بل هو أوضح من ذلك، هو  
حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم، وأنها  
حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق في قراره ولو طال  
مئة عام؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن  
العزلة التي يريدنا لنفسه، ويدخل هو وأبناء طائفته في الجهاد الذي  
كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكي ندفع  
عن بيت المقدس أدناس الصهيونية؟

هذه كلمة مجاهد عربي يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً  
على حديثه الذي سوف يبقى مذكوراً في تاريخ الإسلام والعرب  
لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة، انتظارك لما  
يكون من عمل سيادة الحاخام الأكبر ليعلم. وسيادته أن

من الأمة المصرية، يشعرون بشعورها ويتألمون لألمها. فكيف  
إذن يجازل البعض التشكيك في عواطفهم نحو أبناء بلدتهم  
المصريين. إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق المنوطة لأبناء  
مصر الكريمة سواء بسواء، ولذلك فإن واجبتنا نحو بلادنا  
يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين. وقد أصدرت أسرى إلى رجال  
الكنائس الاسرائيلية بإقامة الطقوس الدينية ليمطوا فيها أبناء  
الطائفة على أن تصافروا مع إخوانهم المصريين في هذا الطرف العصب  
ونحن نشكر الحاخام الأكبر، ولكن ليعلم سيادته أنه قبل أن  
يتوجه إلينا بكلام يكون «حداً فاصلاً يبنى أن يعمل هو وأبناء  
الأمم عملاً يكون «رأفاً لا»، وهذا مع الأمل في يوم.

وط، وأخشى أن أقول إنه لن يحدث قط. ثم ليأذن لنا سيادته  
أن توجه نظره الكريم إلى الذي ذكرناه وذكرته الصحف ولم  
يستنكره أحد من يهود مصر، وهو ذهاب بعض المسئولين من  
اليهود في نهر الاسكندرية كي يبنوا البطريق الأعظم للروم  
الأرثوذكس عن إذاعة حديثه. أهذا أيضاً إقحام للدين في السياسة  
وليأذن لنا سيادته أن تقول له إننا نعيش في أرض مصر،  
واليهود يعيشون معنا فيها لا في الريح، وأنا نعلم علماء يقيناً أن  
جمهوراً كبيراً من شباب اليهود في مصر، يجري بينهم الحديث  
وبين المصريين، فلا نجد أحداً منهم يكتم مشايسته لإنشاء دولة  
يهودية في فلسطين، بل يفرح بها ويصر على التصريح بأنها خير  
لبلدنا، وأنه يبنى علينا نحن العرب أن نعاون على إنشاء هذه  
الدولة، وأن نعيش معاً في سعادة وأمن ورخاء!!!

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن تنبهه إلى أن هذه الساعة التي  
جاش فيها العالم الإسلامي والعربي، ليدفع عن فلسطين الجور  
الذي أرادت هيئة «الأمم المتحدة» التي تصرفها روسيا وأمريكا  
وبريطانيا، هي ساعة فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين ونصارى  
الشرق جميعاً، وليأذن لنا أن تنبهه أيضاً أن النار المشتعلة الآن  
تقصح كل الإفصاح عن المني الذي يتطوى عليه تقسيم فلسطين،  
فكيف ذهب عن فطنة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة  
تقصح أيضاً كل الإفصاح عن استكراه واستنكار طائفته لهذا  
التقسيم الجائر الذي أرادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة؟  
وليأذن لنا سيادته أيضاً أن تنبهه إلى أن الصهيونية تدعى  
أنها تشكل باسم يهود العالم جميعاً، وأن جميع الدلائل إلى اليوم  
تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم، فما هو الضمان الذي